

شعبان

وفضل اغتنام أوقات
يغفل عنها الأنام

الشيخ الفاضل /
عز الدين رمضاني
- حفظه الله -



مَضَى رَجَبٌ وَمَا أَحْسَنْتَ فِيهِ
وَهَذَا شَهْرُ شَعْبَانَ الْمُبَارَكُ

فِيَا مَنْ ضَيَّعَ الْأَوْقَاتَ جَهْلًا
بِحُرْمَتِهَا أَفْقٌ وَاحِدٌ بَوَارَكُ

فَسَوْفَ تُفَارِقُ اللَّذَاتِ قَهْرًا
وَيُخْلِي الْمَوْتُ كَرْهًا مِنْكَ دَارَكُ

تَدَارِكُ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الْخَطَايَا
بِتَوْبَةٍ مُخْلِصٍ وَاجْعَلْ مَدَارِكُ

عَلَى طَلَبِ السَّلَامَةِ مِنْ جَحِيمٍ
فَخَيْرُ ذَوِي الْجَرَائِمِ مَنْ تَدَارِكُ



menhag.net
menhag.net/youtube
menhag.net/facebook
menhag.net/twitter



وَأَمَّا إِذَا كَثُرَتِ الْغَفَلَاتُ وَأَهْلَهَا، تَأَسَّى بِهِمْ عُمُومُ النَّاسِ فَيَسْقُ عَلَى نُفُوسِ الْمُسْتَيْقِظِينَ مِنْهُمْ طَاعَتُهُمْ لِقَلَّةٍ مَنْ يَقْتَدُونَ فِيهَا بِهِمْ، وَهَذَا الْمَعْنَى قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- فِي أَبْنَاءِ أُمَّتِهِ الَّذِينَ يَأْتُونَ فِي الْأَزْمَانِ الْمُتَأَخِّرَةِ قَالَ: «لِلْعَامِلِ أَجْرٌ خَمْسِينَ مِنْكُمْ لَا تَكُنْ تَحْدُونَ أَعْوَانًا عَلَى الْخَيْرِ وَلَا يَحْدُونَ».

نصيحة غالية من ناصح مُشفق

فَكُونُوا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الْمُتَجَبِّينَ، الَّذِينَ اسْتَعْلُوا أَوْقَاتَ الْغَفَلَاتِ بِالطَّاعَةِ، فَكَانُوا لِرَبِّهِمْ قُرْبَاءَ، فَيَا مَنْ فَرَّطَ فِي الْأَوْقَاتِ الشَّرِيفَةِ وَضَيَّعَهَا وَأَوْدَعَهَا الْأَعْمَالَ السَّيِّئَةَ، فَيَسْ مَا اسْتَوْدَعَهَا، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ فِي شَهْرِ تُرْفَعُ فِيهِ أَعْمَالُكَ وَأَقْوَالُكَ؟ أَفَمَا تُحِبُّ أَنْ تَطِيبَ خَائِمَتُكَ، وَتَسْعَدَ أَمَانُكَ؟ أَمْ تَرَكَ صَمِيتَ الْقَوْرِ بِالْجَنَانِ فَقَرِيعَتِ بِنَا عِنْدَكَ مِنَ الْعَمَلِ وَالْإِيمَانِ؟

فَاللَّهُ تَعَالَى نَسْأَلُ أَنْ يُوَفِّقَنَا لِإِغْتِنَامِ الْأَحْوَالِ الشَّرِيفَةِ وَلِإِغْتِنَامِ الْأَوْقَاتِ الَّتِي نَعِيشُ فِيهَا، نَسْأَلُهُ تَعَالَى أَنْ يُبَصِّرَنَا بِعُيُوبِنَا وَأَنْ يَهْدِيَنَا سَوَاءَ الصِّرَاطِ إِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَبِهِ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ.



الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-.

أَمَّا بَعْدُ:

الشُّهُورُ وَالْأَعْوَامُ مَوَاقِيتُ الْأَعْمَالِ وَمَقَادِيرُ الْأَجَالِ.

فِيهَا أَهْلُ النَّاسِ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ ظَاهِرَةً، وَإِنَّ فِي تَعَاقُبِ الشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ لَعِبْرَةً زَاجِرَةً، وَإِنَّ فِي اخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ لَعِظَةً كَافِيَةً، فَمَا لِلْمُغْفُولِ عَنْ هَذِهِ الْحَقَائِقِ قَاصِرَةٌ، وَمَا لِلْقُلُوبِ عَنِ الْمَوَاعِظِ نَافِرَةٌ، وَمَا لِلنَّاسِ عَنِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ قَاطِرَةٌ، أَمَّا أَنَا فَكَمَا قَالَ رَبُّنَا: {كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ} * وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ {الْإِنْسَانُ: ٢٠-٢١}، أَمَّا رَأَيْتُمْ -عِبَادَ اللَّهِ- كَيْفَ تَسِيرُ بِكُمْ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي، أَمَا شَاهَدْتُمْ سُرْعَةَ مُرُورِ الشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ، أَمَا عَايَنْتُمْ مَا بَيْنَ ذَلِكَ مِنْ ذَهَابِ الْأَخْبَارِ وَالْأَشْرَارِ، وَفِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَخَطَرَةٍ يُصَارُّ بِهَا إِلَى دَارِ الْقَرَارِ.

شَهْرٌ فَضِيلٌ وَثَوَابٌ جَزِيلٌ.

أَلَا إِنَّكُمْ -عِبَادَ اللَّهِ- فِي أَوَانٍ تَمُحَى فِيهِ بِإِذْنِ اللَّهِ الذُّنُوبُ، وَفِي زَمَانٍ تُسَرَّرُ فِيهِ بِفَضْلِ اللَّهِ الْعُيُوبُ، وَفِي شَهْرٍ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى عِلَامِ الْعُيُوبِ، شَهْرٌ جَاءَتْ بِفَضْلِهِ الْأَخْبَارُ، وَعَظُمَ شَأْنُهُ الْمُتَّقُونَ الْأَخْيَارُ، شَهْرٌ عَظِيمٌ مَشْهُورٌ، وَزَمَانٌ جَاءَ بِفَضْلِهِ الْأَثَرُ الْمَأْتُورُ، فَكَانَ يَصُومُهُ وَيُكْثِرُ مِنْ صِيَامِهِ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- وَكَفَاهُ بِذَلِكَ شَرْفًا وَفَضْلًا، لِأَنَّ الصَّوْمَ مِنْ أَهَمِّ الطَّاعَاتِ، وَأَجَلَ الْقُرْبَانِ الْمُتَقَبَّلَةِ لِمِيزَانِ الْحَسَنَاتِ، وَالْعَمَلِ الْفَرْدِ الَّذِي اخْتَصَّ بِمُضَاعَفَةِ الثَّوَابِ فِيهِ رَبُّ الْبَرِّيَّاتِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

هَلْ صَامَ النَّبِيُّ شَهْرَ شَعْبَانَ كَامِلًا؟

قَالَتْ عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، -وَحَدِيثُهَا فِي الْكُتُبِ الصَّحِيحِ الْمَشْهُورَاتِ-: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- يَصُومُ حَتَّى تَقُولَ: لَا يُفْطِرُ، وَيُفْطِرُ حَتَّى تَقُولَ: لَا يَصُومُ، وَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرِ إِلَّا رَمَضَانَ، وَمَا رَأَيْتُهُ أَكْثَرَ صِيَامًا مِنْهُ فِي شَعْبَانَ، وَقَوْلُهَا -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-: «كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ»، وَقَالَتْ أَيْضًا: «لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- يَصُومُ شَهْرًا كَامِلًا غَيْرَ

رَمَضَانَ، وَكَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ»، وَكَانَ يَقُولُ: «خُذُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا» [أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: ١٩٦٩-١٩٧٠].

وَأَمَّا عَنْ قَوْلِ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا وَأَرْضَاهَا-: «كَانَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ» حُمُولُ عَلَى الْمُتَابِعَةِ، وَالْمُرَادُ كَمَا قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: (أَيُّ: يَصُومُ مُعْظَمَهُ وَأَكْثَرَهُ لَا أَنَّهُ كَانَ يَصُومُهُ كُلَّهُ) [فَتْحُ الْبَارِي: ٢/٢١٥]، وَيُؤَيِّدُ هَذَا الْمَعْنَى مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ (١١٥٦) مِنْ طَرِيقِ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ: «كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ إِلَّا قَلِيلًا». وَقَوْلُهَا أَيْضًا: «لَا أَعْلَمُ نَبِيَّ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قَرَأَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ فِي لَيْلَةٍ، وَلَا قَامَ لَيْلَةً حَتَّى الصَّبَاحِ، وَلَا صَامَ شَهْرًا كَامِلًا قَطُّ غَيْرَ رَمَضَانَ» [أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ: ١٦٠١].

مُحَالَفَاتُ اخْتِلَافِهَا فِي صَوْمِ شَعْبَانَ.

وَمِنْ هَذِهِ الْأَوَّلَةِ يَبْتَنِي خَطَأً مَنْ يَذْهَبُ إِلَى اسْتِحْبَابِ صَوْمِ شَهْرِ شَعْبَانَ كُلِّهِ وَوَصْلِهِ بِرَمَضَانَ. وَالْأَعْظَمُ مِنْهُ مَنْ يَسْرُدُ صِيَامَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ عَلَى التَّوَالِي رَجَبٍ وَشَعْبَانَ وَرَمَضَانَ، وَهَذَا خِلَافُ الْهَدْيِ الْحَمِيدِيِّ، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: (وَلَمْ يَصُمْ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- الثَّلَاثَةَ الْأَشْهُرَ سَرْدًا كَمَا يُفَعِّلُهُ بَعْضُ النَّاسِ، وَلَا صَامَ رَجَبًا قَطُّ، وَلَا اسْتَحَبَّ صِيَامَهُ) [زَادُ الْمَعَادِ: ٢/٦١].

وَيَظْهَرُ أَيْضًا خَطَأً مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُصَامَ فِي النِّصْفِ الثَّانِي مِنْ شَعْبَانَ لِقَوْلِهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «إِذَا انْتَصَفَ شَعْبَانُ فَلَا تَصُومُوا» [أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ: ٢٣٣٧]، فَظَاهِرُ الْحَدِيثِ يَدُلُّ عَلَى مَنْعِ الصِّيَامِ بَعْدَ النِّصْفِ الثَّانِي، لَكِنْ قَالَ الْعُلَمَاءُ -لِأَجْلِ التَّوْفِيقِ بَيْنَ النَّصُوصِ- قَالُوا: (هَذَا النِّهْيُ إِنَّمَا هُوَ لِمَنْ يُنْشِئُ الصِّيَامَ -أَيُّ: صِيَامَ التَّطَوُّعِ- فِي النِّصْفِ الثَّانِي مِنْ شَعْبَانَ، وَلَمْ يَكُنْ صَامَ أَوَّلَهُ، لَكِنْ مَنْ صَامَ فِي أَوَائِلِ شَعْبَانَ وَأَرَادَ أَنْ يَصُومَ بَعْضَ الْأَيَّامِ الْآخَرَى الَّتِي فِي النِّصْفِ الثَّانِي فَلَهُ ذَلِكَ جَمْعًا بَيْنَ النَّصُوصِ وَتَوْفِيقًا بَيْنَهُمَا).

حِكْمَةُ عَظِيمَةٍ فِي صَوْمِ شَعْبَانَ.

فَعَنَ أَسَمَةَ بِنْتُ زَيْدٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَ: «قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ أَرَكَ تَصُومُ شَهْرًا مِنْ الشُّهُورِ كَمَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ؟» فَقَالَ: «ذَاكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ فَاجِبٌ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ» [أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ: ٢٣٥٧]، فَقَوْلُهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «ذَاكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ

رَجَبٍ وَرَمَضَانَ»: يُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ لَمَّا اكْتَنَفَ شَهْرَانِ عَظِيمَانِ، الشَّهْرُ الْحَرَامُ وَهُوَ: رَجَبٌ، وَشَهْرُ الصِّيَامِ وَهُوَ: رَمَضَانُ، اسْتَعْلَلِ النَّاسُ بِهَا عَنْهُ فَصَارَ مَغْفُولًا عَنْهُ.

وَحَثَّ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- أُمَّتَهُ عَلَى الصَّوْمِ فِي شَعْبَانَ فِيهِ: دَلِيلٌ عَلَى اسْتِحْبَابِ حِمَاةِ أَوْقَاتِ غَفْلَةِ النَّاسِ بِالطَّاعَةِ، وَأَنَّ ذَلِكَ خُبُوبٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا كَانَ طَائِفَةٌ مِنَ السَّلَفِ يَسْتَجِبُونَ عِمَارَةَ وَقْتِ مَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ بِالصَّلَاةِ، وَكَانُوا يَقُولُونَ هَذِهِ سَاعَةٌ غَفْلَةٍ، وَلِذَلِكَ كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- يُرِيدُ أَنْ يُؤَخَّرَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ لَوْلَا خَافَتُهُ الْمُشَقَّةُ عَلَى النَّاسِ لِفَضِيلَةِ الْإِنْفِرَادِ بِذِكْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ لَا يُوجَدُ ذَاكِرٌ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

هِنَايَا لِلْعَابِدِينَ زَمَانُ الْغَفْلَةِ وَالْفِتَنِ.

وَالْمُفْضُودُ -عِبَادَ اللَّهِ- أَنْ مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي وَقْتِ غَفْلَةِ النَّاسِ عَنِ الذِّكْرِ فَهَذَا أَفْضَلُ وَأَعْظَمُ أَجْرًا، فَكَذَلِكَ الصِّيَامُ فِي وَقْتِ غَفْلَةِ النَّاسِ عَنِ الصِّيَامِ فَهَذَا أَفْضَلُ.

وَفِي إِحْيَاءِ الْوَقْتِ الْمَغْفُولِ عَنْهُ بِالطَّاعَةِ فَوَائِدُ كَثِيرَةٌ، ذَكَرَ بَعْضُهَا الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ وَمِنْ أَهْمَتِهَا:

أَنَّهُ يَكُونُ أَخْفَى عَلَى النَّاسِ فَلَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ مُعْظَمُ النَّاسِ وَجُلَّتْهُمْ، لِغَفْلَتِهِمْ عَنْهُ، وَإِخْفَاءُ التَّوَافِلِ وَإِسْرَارُهَا أَفْضَلُ مِنْ إِظْهَارِهَا لِأَسِيَا الصِّيَامِ فَإِنَّهُ سَرٌّ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلِذَا قِيلَ عَنِ الصِّيَامِ إِنَّهُ: (الْعِبَادَةُ الَّتِي لَا رِيَاءَ فِيهَا).

وَمِنْ فَوَائِدِ إِحْيَاءِ الْوَقْتِ الْمَغْفُولِ عَنْهُ بِالطَّاعَةِ: أَنَّهُ يَكُونُ أَشَقَّ عَلَى النَّفْسِ. وَأَفْضَلُ الْأَعْمَالِ أَشَقُّهَا عَلَى النَّفْسِ وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- لِعَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-: «أَجْرُكَ عَلَى قَدْرِ نَصَبِكَ» [أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ: ١٧٣٣]، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ تَنَاسَى بِمَا تُشَاهِدُهُ مِنْ أَحْوَالِ الْبَشَرِ، فَإِذَا كَثُرَتْ يَقْظَةُ النَّاسِ وَطَاعَتُهُمْ، كَثُرَتْ بَعْدَ ذَلِكَ طَاعَةُ النَّاسِ لِكَثْرَةِ الْمُتَتَبِعِينَ بِهِمْ، فَتَسْهَلُ الطَّاعَةُ عَلَى الْجَمِيعِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَالُوا: (إِنَّ الْحُصْبَةَ إِذَا عَمَّتْ خَفَّتْ)، فَكَذَلِكَ الطَّاعَةُ إِذَا عَمَّتْ وَقَامَ بِهَا كُلُّ النَّاسِ سَهَلَتْ عَلَيْهِمْ، وَلِذَلِكَ تَرَوْنَ فِي شَهْرِ الصِّيَامِ النَّاسَ يَصُومُونَ عَلَى اخْتِلَافِهِمْ وَتَبَائِيهِمْ فِي تَحْلِيلِهِمْ وَصَبْرِهِمْ عَلَى الْمُسَاقَاةِ، فَيَسْتَوِي فِي ذَلِكَ الْمُدْمِنُ عَلَى الْخَمْرِ وَالْمُدْمِنُ عَلَى الصِّيَامِ، وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ.